بسم الله الرحمن الرحيم

مجالس شرح تفسير الجلالين

الدرس الرابع

سورة الفاتحة: من قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إلى آخر السورة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾

الخميس ٩ جمادى الآخرة ١٤٤٨هـ، الموافق ١٩ نوفمبر ٢٠٢٦م

ألقاه فضيلة

الدكتور علي سنوسي

تفريغ الدرس الصوتي مرتبًا تحت عناوين، والكلام كلام الشيخ؛ أما العناوين فمن وضع المفرّغ، وأما نص المتن المؤطَّر فمنقول من تفسير الجلالين.

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها الإخوة المستمعون، أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما نسمع، وأن يعلمنا العلم النافع، يا أرحم الراحمين.

قد وقفنا في الدرس الماضي عند قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. والمؤلف، كما قلنا، يفسر على رواية أبي عمر الدوري، راوي البصري، رحمهم الله جميعًا؛ ولذلك قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فالمحلي بدأ بتفسير «ملِك يوم الدين».

وأنتم تعلمون أن هذه الكلمة فيها قراءتان: «مَلِك» و«مالِك»؛ الكسائي وعاصم من السبعة يقرآن «مالك»، والبقية، بما فيهم البصري، يقرؤون «مَلِك». وهذه هي القراءة التي يفسر عليها الإمام المحلي القرآن الكريم، أو النصف الذي فسره.

تتمة الكلام في ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

◆ يأتيان اسمين ويأتيان وصفين:

بعد أن انتهينا من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قلنا: إنهما وصفان لله عز وجل؛ لأنهما مبنيان على اسمٍ قبلهما، بمعنى أنهما سُبقا بموصوف، وهو «الله». ولذلك هذان الوصفان يأتيان اسمين ويأتيان وصفين: إذا سُبقا بموصوف، كاسم الله عز وجل هنا، فهما صفتان لله عز وجل؛ وإذا ابتُدئ بهما وبُني عليهما غيرهما فهما اسمان.

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾: هنا «الرحمن» اسم؛ لأنه أخبر عنه بأنه استوى على العرش. وأما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ﴾ فهو صفة لموصوفٍ سابق، وهو «الله».

◆ تأويل المؤلف لصفة الرحمة:

ولذلك المؤلف قال: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي ذي الرحمة، أي صاحب الرحمة. وقلنا: إنه أوّل صفة الرحمة بقوله: «وهي إرادة الخير لأهله»، وقلنا: هذا تأويل، والصواب أن نترك الصفة على ظاهرها. وأما ما ذكره المؤلف من

معناها، وقال: إن هذا هو المعنى، فهذا ليس هو المعنى، وإنما هو **أثر الصفة**؛ لأن المتصف بالرحمة يوصل الخير إلى أهله، ويوصل الإحسان إلى من يستحق الإحسان.

◆ دلالتهما على المبالغة:

وقلنا: إن العلماء قالوا: إن هذين الوصفين بُنيا للدلالة على المبالغة، بمعنى أن الرحمة التي اشتُق منها هذان الوصفان رحمةٌ واسعة، ورحمةٌ شاملة، أي أنها تشمل الخلق كلهم إذا اشتُق منها «الرحمن». ولذلك العلماء قالوا: «الرحمن» هو الذي يرحم كل الخلق بما فيهم الكفار، وأما «الرحيم» فهو الذي يرحم المؤمنين. هذا سبق أن ذكرناه.

ووجه كونهما للمبالغة أمرٌ لا نخوض فيه؛ لأنه يحتاج إلى وقت. لكن كيف نقول: إن «الرحمن» للمبالغة، مع أنه ليس من صيغ المبالغة الخمس، التي هي: فعّال، ومِفعال، وفَعول، وفَعيل، وفَعِل؟ هذه هي صيغ المبالغة، ليس منها «فَعْلان» التي جاءت عليها «الرحمن» هنا.

◆ الرحمن والرحيم صفتان مشبهتان:

كونها تدل على المبالغة هذا من خلال جعلها **صفة مشبهة**. وأنت تعلم أن الصفة المشبهة هي التي تدل على الثبات والاستمرار، بخلاف اسم الفاعل؛ فإنه يدل على التجدد والحدوث. فقولك: آكل وشارب وضارب، يعني أنك تأكل تارة وتترك الأكل تارة، وتضرب تارة وتترك الضرب تارة؛ أي أن اسم الفاعل لا يدل على صفة ثابتة. وأما الصفة المشبهة فتدل على صفة ثابتة، كقولك: الكريم والجميل؛ فهاتان صفتان تدلان على أن الجمال شيء دائم، ولا يمكن أن نقول: إنه جميل اليوم قبيح غدًا. هذا هو مدلول الصفة المشبهة: الدلالة على أن الوصف ثابت دائم مستمر.

لكن الإشكال هو أن «الرحمن» من «رَحِم»، و«رحم» فعلٌ متعدٍّ: «رحم الله العبادَ»، ينصب مفعولًا به. والصفة المشبهة لا تُشتق إلا من اللازم: كَرُم فهو كريم، وشَرُف فهو شريف، وجَمُل فهو جميل، وحَسُن فهو حَسَن؛ هذه أفعال لازمة، أي لا تنصب مفعولًا به، ولذلك هذه الصفات نسميها صفاتٍ مشبهة. أما «رحم الله العباد» فهذا فعلٌ نصب مفعولًا به، فهو متعدٍّ. فكيف نقول: إن «الرحمن» الذي اشتُق من «رَحِم» يكون صفة مشبهة، مع أن النحويين نصّوا على أن الصفة المشبهة لا تصاغ إلا من اللازم؟

قالوا: إن هذا الوصف، وما أشبهه من الأوصاف التي اشتُقت من أفعال متعدية ومع ذلك قيل عنها: إنها صفات مشبهة، هذا **بتحويل الفعل المتعدي إلى «فَعُل»**، وإذا حولته إلى «فَعُل» أصبح لازمًا. كقولك مثلًا: «فَقِه زيدٌ المسألةَ»، فإن أردت الدلالة على أن فقه زيد قوي ودائم ومستمر فقل: «فَقُه»، حوّله إلى «فَعُل». و«عَلِم» إلى

«عَلُم»، ونقول: «عليم»، فعليم صفة مشبهة؛ لأنه من «عَلِم» المحوَّل إلى «عَلُم». وكذلك «رحمن» و«رحيم» صفتان مشبهتان؛ لأنهما مشتقتان من «رَحِم» المحوَّل إلى «رَحُم».

وبهذا يصح أن نقول: إن «الرحمن» و«الرحيم» صفتان مشبهتان، وذلك بعد أن حوّلنا الفعل المشتق منه، وهو «رَحِم»، إلى «رَحُم» الذي يكون لازمًا بهذا التحويل. وإذا قلنا: إنهما صفتان مشبهتان، فهنا تأتي المبالغة؛ لأن الصفة المشبهة تدل على الثبات والدوام، بمعنى أن الرحمة ثابتة لله عز وجل ودائمة، ليست مختصة بالزمن الماضي، ولا بالحال فقط، ولا بالمستقبل، بل إنها تشمل كل الأزمان؛ هذا معنى كونها ثابتة وكونها دائمة.

فهذا سبق أن ذكرناه في الدرس الماضي، ولكن نبهنا على هذه المسألة التي لم يسعفنا الوقت للتنبيه عليها.

أولًا: قوله «﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي الجزاء»:

قال الجلال المحلي رحمه الله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي الجزاء، وهو يوم القيامة، وخُصَّ بالذكر لأنه لا مُلك ظاهرًا فيه لأحدٍ إلا لله تعالى، بدليل ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾.

◆ معاني «الدين»:

قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، **الدين هو الجزاء**. أنت تعلم أن «الدين» له معانٍ: من معانيه الإسلام، الدين هو الإسلام؛ والدين هو الشريعة؛ ومن معانيه الجزاء، المجازاة: «كما تَدين تُدان»، أي كما تفعل تُجازى. إذن الدين هنا معناه الجزاء: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي ملك يوم الجزاء.

الله عز وجل متصف بأنه ملكٌ ليوم الدين، أي ليوم الجزاء، أي اليوم الذي يُجازى فيه كل الخلق على أعمالهم؛ فمن عمل خيرًا فإنه يجد خيرًا، ومن عمل غير ذلك فإنه يجد جزاءه كذلك. ولذلك سُمي ذلك اليوم بيوم الدين.

◆ لماذا خُصَّ يوم الدين بالذكر؟

ذلك اليوم لا يملك فيه أحدٌ إلا الله. الله يملك يوم الدين، ويملك الدنيا، ويملك الآخرة، ويملك كل شيء من المخلوقات؛ هذا الكون كله يملكه الله عز وجل. فلماذا خص ذلك اليوم بأن أضيف الملك إليه؟ لماذا خصه بالذكر؟

خصه بالذكر لأن ذلك اليوم لا يظهر فيه أحدٌ يقول: إنه مالك أو ملك، إلا الله عز وجل؛ ذلك اليوم لا يظهر فيه مُلكٌ لأحدٍ إلا لله عز وجل. ولذلك قال الله تعالى، سأل الخلق وقال: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ثم أجاب الله عز

وجل عن هذا السؤال: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. الملك اليوم لله، ليس هناك أحدٌ يقول: إنه ملك، أو إنه مالك، في ذلك اليوم.

ولذلك خص هذا اليوم من بين الكائنات، من بين المخلوقات التي خلقها الله عز وجل، فأضاف مُلكه إلى ذلك اليوم. لماذا؟ لأنه لا ملك ظاهرًا في ذلك اليوم إلا لله عز وجل. أما الدنيا فالملوك فيها كثير، ولكن الملك في ذلك اليوم ليس إلا لله عز وجل.

فسّره المؤلف، قال: «يوم الدين» ما هو؟ **وهو يوم القيامة**، يوم الدار الآخرة. ولماذا خص بالذكر؟ قال: «**وخُص بالذكر**» مع أن الله عز وجل يملك يوم الدين ويملك الدنيا ويملك كل الكائنات، «**لأنه لا ملك ظاهرًا فيه**»، أي في ذلك اليوم، «**لأحدٍ إلا لله تعالى**»؛ ولذلك خص بالذكر دون غيره. «**بدليل**»: لماذا قلتم: إنه لا ملك يظهر في ذلك اليوم إلا لله؟ لأن الله عز وجل قال: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ثم أجاب وقال: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ فقط، وليس لأحدٍ في ذلك اليوم مُلك.

ثانيًا: قوله «ومن قرأ ﴿مالك﴾ فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** ومن قرأ «مالك» فمعناه: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أي هو موصوفٌ بذلك دائمًا كـ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾، فصحَّ وقوعه صفةً للمعرفة.

قال: ومن قرأ من القراء «مالك»؛ إذن هو فسّر على «مَلِك»، قراءةِ «مَلِك»، ولذلك ذكر القراءة الثانية التي تقرؤون بها أنتم الآن، قراءة عاصم: **ومن قرأ «مالك» فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة**.

◆ اليوم ظرف، والمملوك ما فيه:

«مالك يوم الدين» و«ملك يوم الدين»: اليوم لا يُملك؛ لأنه زمان، وإنما تُملك الأعيان وتُملك الذوات. أنت تملك مالك، مالك هذا شيء تراه، وتملك بيتك، وتملك أرضك، وتملك بضاعتك ومتاعك. لكن اليوم، لماذا قيل: «مالك يوم الدين»؟ المفسر ماذا قال؟ «ومن قرأ مالك فمعناه مالك الأمر كله في يوم الدين». فهذا فيه من البلاغة...

◆ تنبيه عقدي: القول بالمجاز وباب الأسماء والصفات:

وأنتم تعلمون أننا نقرر ما يقرره كثيرٌ من أهل العلم، وهو القول بالمجاز، ما عدا أسماء الله وصفاته وما يتعلق بالله عز وجل؛ فإننا لا نقول فيها بالمجاز، وإنما نقول بالحقيقة. هناك نثبت ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الأسماء ومن الصفات، بلا تأويل ولا تحريف، وبلا تمثيل ولا تشبيه؛ لا نحرف ولا نعطل، وكذلك لا نشبه ولا نمثل.

لكن فيما عدا ذلك فهو ما عليه جمهور أهل العلم، وتجد ذلك في كتب التفسير كلها؛ أنهم يذكرون هذا الباب، باب المجاز. وطبعًا هذه مسألة خلافية، الأمر فيها واسع، وإن كان بعض الناس يتشددون فيها، فالتشدد فيها لا داعي له حقيقةً. الأمر فيه سعة، المهم أن نجنّب النصوص التي لا ينبغي أن يقال فيها بالرأي، ولا بما يسمى بالمجاز، وإنما نجريها على حقائقها.

لأن **من شرط المجاز الدليل**؛ لأن المجاز هو صرف اللفظ عن الحقيقة إلى معنى آخر، فكونك تصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر تحتاج إلى دليل. وما الذي دلك على أن الصفات التي وصف الله بها نفسه، والأسماء التي سمى بها نفسه، لا يراد بها الحقائق، وإنما يراد بها المعاني المجازية؟ ما الدليل الذي استدللت به؟ لا دليل عندك، فكيف تقول بالمجاز؟ لا ينبغي أن تقول بالمجاز؛ لأن شرط المجاز وجود الدليل الذي يدل على صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح.

> **تنبيه:** ذلك الباب، باب التوحيد وباب العقيدة، ينبغي أيها الأحبة أن تبعدوه عن مسائل المجاز وما يتعلق بها؛ ذلك الباب كله يجري على الحقيقة، لكن كما يقول السلف رحمهم الله تعالى: نثبت ما أثبته الله عز وجل لنفسه، بلا تعطيل ولا تحريف، وبلا تشبيه ولا تمثيل.

◆ مالك الأمر كله: الذوات والمعاني:

نعود إلى قوله: «مالك يوم الدين»، أي **مالك الأمر كله**. ما قال: مالك اليوم. «مالك» مضاف إلى «يوم الدين»، أي أن الله مالكٌ لليوم. نعم، الله يملك اليوم؛ لأنه خلقه، هو خالقه، يملكه. لكن ذلك اليوم فيه أشياء كثيرة: البشر كلهم، الإنس والجن والمخلوقات، كل الكائنات في ذلك اليوم موجودة، وتلك الكائنات مالكها الله عز وجل.

اليوم ظرف، وما فيه مظروفٌ فيه. اليوم مثل الإناء: أنت عندك إناء، الإناء ظرف، والماء الذي في الإناء مظروف، وضعته في ذلك الظرف. اليوم ظرف، والكائنات التي تكون في ذلك اليوم مظروفة، والله يملك تلك الكائنات؛ أي يملك اليوم وما فيه. ولذا قال: «مالك يوم الدين» أي مالك الأمر كله في يوم الدين.

الأمر كله: فالأمر يشمل كل ما في ذلك اليوم من الذوات الموجودة في ذلك اليوم، الخلق كله، من إنسٍ وجنٍّ وحيوانات وغير ذلك، الكل يكون هناك؛ هذه الذوات. وكذلك من الأمور المعنوية: أن يُثاب الناس، إثابة المطيعين في ذلك اليوم، وعقاب الذين يستحقون العقوبة، وكذلك إعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم ذلك اليوم؛ هذا كله يدخل في «الأمر»، كل هذا يملكه الله عز وجل: الذوات والأعيان، وكذلك المعاني.

> **لطيفة في قوله «في يوم القيامة»**: قال المؤلف رحمه الله تعالى: «ومن قرأ مالك فمعناه مالك الأمر كله في...»؛ شُف، أتى بـ«في» ليقول لك: إن «يوم» هنا ظرف؛ لأن كلمة «يوم» تأتي ظرفًا وتأتي غير ظرف. «يوم» هنا ظرف، يعني هو يملك ما في ذلك اليوم من الأمور كلها، سواءٌ أكانت أعيانًا وذوات، أم كانت معاني.

◆ مسألة نحوية: اسم الفاعل وشبهه بالفعل المضارع:

«أي هو موصوفٌ بذلك دائمًا كغافر الذنب، فصح وقوعه صفةً للمعرفة»: هذه مسألة نحوية أيها الإخوة السامعون.

اسم الفاعل يا جماعة هو الوصف المشتق من الفعل للدلالة على الصفة والذات. فقولك مثلًا: قارئ، اسم فاعل، وجالس اسم فاعل، وضارب اسم فاعل، وقاتل؛ كل هذه أسماء فاعلين. اسم الفاعل هنا «قارئ» يدل على القراءة، وعلى الذات التي قرأت. و«مالك» اسم فاعل، يدل على الملك، وعلى الذات المالكة؛ يدل على أمرين: الصفة، والذات التي تتصف بالصفة.

اسم الفاعل يا جماعة عند النحويين يشبه الفعل، يشبه الفعل المضارع. وأنت تعلم أن الفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال، ولا يدل على الماضي؛ قولك: «أقرأ» أي الآن أو بعد قليل، لا يمكن أن تكون قرأت بالأمس وتقول لي: أقرأ. هذا يسمى فعلًا مضارعًا، وهو قولك: أقرأ، أكتب، أسافر، أذهب، أقول. هذا فعل مضارع له دلالتان: يدل على الحال أو الاستقبال، والقرائن تدل على أنك تريد الآن، أو تريد غدًا، أو تريد بعد قليل.

اسم الفاعل يا جماعة قلنا: يشبه الفعل، وإذا أشبه الفعل فإنه يعمل عمل الفعل، أي أنه يرفع الفاعل وينصب المفعول. لكنه اسم وليس فعلًا، وإذا كان اسمًا فإنه يصح أن يكون صفةً لشيء سابق؛ تقول لي: جاء رجلٌ قارئ، جاء رجلٌ حافظٌ للقرآن، جاء رجلٌ تاجر؛ تاجر وقارئ وحافظ هذه صفات «رجل».

◆ النكرة لا تكون صفةً للمعرفة:

لكن لاحظ أن «قارئ» و«كاتب» هذه أسماء منكَّرة، يعني ليس فيها «أل». لو قلت: جاء القارئ، الضارب، الآكل، هذه معرفة؛ وأما قولك: قارئ، وضارب، وآكل، وشارب، ومالك، فهذه نكرات. وأنت أيضًا تعلم أيها الطالب أن **الصفة تتبع الموصوف**. أنت اسمك محمد، واسمك خالد، واسمك زيد، واسمك علي؛ اسمك معرفة؛ لأنه يدل على ذاتك. فهل تقول لي: «جاء خالدٌ تاجرٌ»، وتقول: إن كلمة «تاجر» صفة لخالد؟ لا يصح؛ لأن «تاجر» نكرة، و«خالد» معرفة، والنكرة لا تكون صفةً للمعرفة.

افهم أيها الطالب: **النكرة لا تكون صفةً للمعرفة، وكذلك المعرفة لا تكون صفةً للنكرة**. «جاء رجلٌ» تقول لي: «التاجر»؟ لا، لا يصح أن تقول: جاء رجلٌ التاجر؛ «رجل» نكرة، و«التاجر» معرفة. تقول: جاء رجلٌ تاجر، ما دام «رجل» نكرة أيضًا نكِّر الصفة؛ وتقول: جاء الرجلُ التاجر، جاء زيدٌ التاجرُ العالم؛ تقول لي: «زيد» معرفة، وتقول: «تاجر»؟ لا يصح. هذا كلام واضح.

◆ إضافة اسم الفاعل لفظية لا تفيده التعريف:

إذن اسم الفاعل أيها الأحبة إذا أضيف إلى المعرفة لا يتعرف. طبعًا من المعارف إضافةُ النكرة إلى المعرفة: عندما تقول: «كتاب» هذا نكرة، لكن لما تقول: «كتاب زيد»، الآن كلمة «كتاب» أصبحت معرفة؛ لأنك أضفتها إلى معرفة: كتاب الرجل، كتاب المعلم، كتاب الطالب؛ فهذه الإضافة جعلت «كتاب» معرَّفًا.

لكن «قارئ الكتاب»: «قارئ» اسم فاعل أضفته إلى «الكتاب»، فهل كلمة «قارئ» تستفيد التعريف من هذه الإضافة؟ الجواب: لا؛ لأنهم يقولون: إن اسم الفاعل وصفٌ يشبه الفعل، وهو يدل على الحال أو الاستقبال، وإذا أضفته إلى المعرفة فإنه **يبقى نكرةً ولا يتعرف**. وإذا كان نكرة فلا يصح أن تجعله صفةً لمعرفة.

تقول لي: جاء زيد، جاء خالد، جاء محمد، جاء علي؛ هذه معارف، وتقول لي: «قارئُ الكتاب»، وتقول: «قارئ» صفة لزيد؛ لأني أضفت «قارئ» إلى «الكتاب»، و«الكتاب» معرفة، إذن كلمة «قارئ» تكون معرفة بإضافتها إلى المعرفة، ويصح أن نجعلها صفة. نقول لك: الجواب لا. صحيحٌ أنك أضفت اسم الفاعل إلى المعرفة، لكن إضافة اسم الفاعل إلى المعرفة لا تفيده تعريفًا، فيبقى نكرة؛ وعليه لا يجوز أن تجعل اسم الفاعل، وإن أضيف إلى معرفة، نعتًا للمعرفة؛ لأنه لا يتعرف:

«وإن يُشابِهِ المضافُ يَفعَلُ ... وصفًا فعن تنكيره لا يُعزَلُ»؛ يعني: إذا كان المضاف مشابهًا للفعل، أي أنه اسم فاعل لأنه شابه الفعل، **فعن تنكيره لا يعزل**، أي أنه يبقى نكرة.

◆ الإشكال في وصف الله تعالى بـ«مالك»:

فالمؤلف يقول: «مالك» مثل ضارب، ومثل كاتب، وكذلك مثل قارئ إلى آخره؛ فكلمة «مالك» لا تتعرف. «مالك يوم الدين»: «يوم الدين» معرفة، «يوم» أضيف إلى «الدين» فهو معرفة؛ فهل إضافة «مالك» إلى «يوم» تجعله معرفة؟ الجواب: لا تجعله معرفة. فإذا كانت لا تجعله معرفة، فكيف جعلته صفة لله تعالى، والله أعرف المعارف، وقلت: «الحمد لله ... مالكِ»؟ هذا هو الإشكال.

> **قاعدة:** أنت أيها النحوي لا بد أن تعرف هذه المسألة، احفظها لي: وهي أن اسم الفاعل إضافته تسمى **لفظية**، فإن أضيف إلى معرفة فإنه لا يتعرف بهذه الإضافة، بل يبقى على تنكيره، وإن كان كذلك فلا يصح أن يكون صفةً ولا نعتًا لمعرفة.

هذه القاعدة ظاهرها هنا لا ينطبق: أنتم تقولون: «مالك» اسم فاعل مثل ضارب، وهو نكرة، واسم الله معرفة، وقررتم أيها النحويون أن النكرة لا تكون وصفًا للمعرفة؛ فكيف كان هذا اللفظ صفة لله عز وجل؟

◆ جواب المؤلف: «أي هو موصوف بذلك دائمًا»:

الجواب: ماذا ذكر المؤلف؟ المؤلف أشار إشارة؛ لذلك قلت لكم: إن هذا الكتاب يحتاج إلى تركيز، فيه علمٌ وفير وكثير، وإن ركزت فإنه يكون لك بمثابة المدخل إلى كتب التفسير.

قال المؤلف ماذا؟ قال: «**أي هو موصوفٌ بذلك دائمًا**». يقول: إن «مالك» وإن كان ظاهره أنه اسم فاعل، وأنه يشبه الفعل المضارع، لكن هنا في هذه الآية ليس كذلك، بل هو هنا **انتقل من كونه اسم فاعل إلى كونه صفة مشبهة**، والصفة المشبهة تدل على الثبات والدوام والاستمرار، أي أنها تغطي كل الأزمان: الماضية والحاضرة والمستقبلة.

إذن «مالك» ليس معناه مالكٌ الآن أو سيملك غدًا، كقولك: «ضارب»، هو ضاربٌ الآن أو غدًا، ولا يمكن أن تطلقه على الضرب الماضي. لكن «مالك» هنا خرج من هذا الأمر، وجُعل دالًّا على كل الأزمنة، أي أنه صار صفة مشبهة؛ وإذا كان كذلك فإنه إذا أضيف إلى المعرفة يتعرف، وإذا تعرف صح أن يكون نعتًا وصفةً لله عز وجل الذي هو أعرف المعارف.

هذا معنى قول الجلال المحلي؛ لأنه استشعر أنك تستشكل هذا الأمر، فقال لك: «ومالك الأمر كله في يوم القيامة، أي هو موصوف بذلك دائمًا»، أي أزلًا وأبدًا والآن، وليس موصوفًا الآن وفي المستقبل فقط كما يدل عليه

اسم الفاعل. وإذا كان موصوفًا بصفة الملك الآن ويوم القيامة وإلى ما لا نهاية، فإنه إذا أضيف يتعرف، وإذا تعرف صح أن يكون نعتًا لله عز وجل.

إذن مجيئه نعتًا لله هنا لكونه ليس اسم فاعل، وإنما هو صفة مشبهة، يدل على ثبوت الصفة، وعلى أنها ثابتة، وعلى أنها دائمة ومستمرة أزلًا وأبدًا؛ أي في الأزل قبل الآن، وإلى أن تقوم الساعة، وإلى ما بعد ذلك إلى ما لا نهاية. وإذا جعلت الوصف كذلك فإنه يصح أن يكون نعتًا للمعرفة.

ولذلك قال: «أي هو موصوف»، لا بد أن يقول هذا؛ إذا لم يقل هذا تقع أنت في إشكال، تقول: كيف هذا؟ خاصةً إذا كنت نحويًّا وتعرف شيئًا في النحو، تقول: كيف جعل «مالك»، وهو اسم فاعل، نعتًا لله وهو معرفة، وهذا نكرة؟ فقال لك: لا، «مالك» هنا ليس نكرة، بل هو معرفة؛ لأنه دالٌّ على الحاضر والماضي والمستقبل.

◆ التنظير بـ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾:

هو موصوف بالملك دائمًا كـ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾. «غافر» الإشكال فيها مثل «مالك»؛ غافر مثل ضارب. غافر ومالك وضارب وقارئ وكاتب صيغة فاعل، هذه كلها أسماء فاعلين، والأصل فيها أنها تدل على الحال أو الاستقبال، لا تدل على الماضي. يعني: هل معنى ذلك أن مُلك الله عز وجل لذلك اليوم حدث في يوم القيامة؟ لا، إن الله متصف بهذا الملك أزلًا، والآن، ويوم القيامة، وإلى ما لا نهاية.

ولذا قال لك: «هو موصوف بذلك دائمًا كغافر الذنب». كذلك «غافر» اسم فاعل أضيف إلى «الذنب»؛ فإذا كنت على القاعدة تقول: «غافر» اسم فاعل، إضافته إلى «الذنب»، والذنب معرفة، لا تفيده تعريفًا، فهو نكرة؛ كيف صح أن تجعله وصفًا لله عز وجل: ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ﴾؟ كيف تجعل «غافر» وصفًا لله عز وجل مع أنه نكرة؟

الجواب: أنه ليس نكرةً هنا، بل هو معرفة؛ لأنه غافر الذنب أزلًا وأبدًا، غافر الذنب دائمًا، ولم يتجدد له، كما يدل اسم الفاعل على التجدد والحدوث؛ لم يتجدد له الغفران الآن أو في المستقبل، وإنما هو متصف بهذا دائمًا وأبدًا، فصح أن يكون نعتًا لله عز وجل في سورة غافر.

ولذا قال لك: «فهو موصوف بذلك دائمًا كغافر الذنب»، فانظر إلى التفريع: «**فصحَّ وقوعه صفةً للمعرفة**»؛ أزال لك الإشكال، وإلا فإنك تستشكل، تقول: كيف هذا؟ بهذا يزول الإشكال، ويصح أن يكون هذا الوصف الذي على صيغة اسم الفاعل صفةً للمعرفة؛ لأن إضافته الآن **معنوية محضة، وليست لفظية**. الإضافة: لفظية ومعنوية.

ثالثًا: قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

> قال الجلال المحلي رحمه الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نخصّك بالعبادة من توحيدٍ وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

◆ الثناء قبل الخطاب والسؤال:

ننتقل بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، بعد هذه المقدمة في سورة الفاتحة، هذه المقدمة التي ينبغي أن تتقدم على الخطاب. أنت إذا أردت أن تخاطب إنسانًا، ولله المثل الأعلى، لا بد أنك إذا أتيت إليه ودخلت عليه لا تخاطبه مباشرة: أنا أريد كذا، وأعطني كذا؛ وإنما تثني عليه: أنتم جزاكم الله خيرًا، وأنتم الكرماء، وأنتم أهل الكرم، وأهل الشهامة؛ ثم بعد ذلك تسأل.

هنا أيضًا، ولله المثل الأعلى، أنت قبل أن تسأل قدّمت الثناء على الله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الوصف بالجميل لله. من هو الله؟ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالق العالمين، مدبر العالمين، رازق العالمين. ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: صاحب الرحمة الواسعة. ﴿الرَّحِيمِ﴾: الرحمة للمؤمنين، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. بعد ذلك، بعد أن وصفت الله عز وجل وأثنيت عليه، تنتقل إلى ماذا؟ تنتقل إلى الخطاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

◆ الترتيب الأصلي للجملة:

انتبهوا أيها الأحبة: الجملة المكونة من أكثر من كلمة لها **ترتيبٌ أصلي**. إذا كانت الجملة اسمية فترتيبها الأصلي أن يقع المبتدأ أولًا، ثم بعد ذلك يأتي الخبر؛ تقول: «الله ربنا»، اسم الله مبتدأ، و«ربنا» خبر؛ هذا هو الترتيب. فقولك: «ربنا الله»، تقديمك للخبر، هذا لا يكون إلا لسببٍ ونكتةٍ بلاغية.

والجملة إن كانت فعلية فترتيبها هكذا: الفعل أولًا، والفاعل ثانيًا، والمفعول ثالثًا، ومتعلَّقات الفعل أو متعلِّقات الفعل. متعلقات الفعل يا جماعة هي غير الفاعل، الفاعل هذا هو الأساس. المتعلقات:

- المفعول به.
- المفعول المطلق.
- المفعول معه.
- المفعول فيه، وهو الظرف.

- المفعول لأجله.
- الحال.
- المستثنى.

هذه كلها البلاغيون سموها متعلَّقات أو متعلِّقات الفعل، أي يتعلق بها الفعل أو تتعلق بالفعل، وترتيبها أنها تأتي بعد الفعل والفاعل. فهل يجوز أن نقدمها؟ يجوز أن نقدم المفعول على الفاعل أو على الفعل، ويجوز أن نقدم الظرف والجار والمجرور على الفاعل أو على الفعل، أو نقدم الحال على صاحبها أو على الفعل؛ يقول لك: هذا يجوز، لكن **مخالفة هذا الترتيب الأصل لا تكون إلا لسببٍ بلاغي، إلا لنكتة**؛ نكتة أي لطيفة وفائدة بلاغية.

◆ الأصل: نعبدك ونستعينك:

انتبه أيها الأخ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، «إياك» مفعول به مقدم. الأصل: «نعبدك»؛ «نعبد» فعل مضارع، من تعبدون؟ «إياك»، أي أنت يا الله. وإياك نستعين، الأصل: «نستعينك». فلا نقول: «نعبد إياك»؛ لأن «إياك» ضمير منفصل منصوب، ويقابله الضمير المتصل المنصوب: «نعبدك»، «نستعينك». فإذا أخّرت «إياك» وجئت به بعد «نعبد» وبعد «نستعين» فلا بد أن تأتي به كافًا فقط: نعبدك ونستعينك؛ ولا تقول: نعبد إياك ونستعين إياك؛ لأن «إياك» منفصل، وإذا أمكن أن تأتي بالضمير المتصل فلا يجوز أن تعدل عنه إلى الضمير المنفصل إلا في مواضع، وهذا ليس من هذه المواضع؛ بمعنى أنك تستطيع أن تقول: «نعبدك»، فلا تقول: «نعبد إياك».

الأصل: «نعبد» فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره «نحن»، والكاف مفعول به؛ وهذا هو الترتيب، الكاف تأتي بعد «نعبد»، و«نستعين» كذلك. لكن إذا قدّمت الكاف على «نعبد» وخالفت هذا الترتيب الأصل، فلسببٍ بلاغي، لمعنى أنت أيها المتكلم تريده، وهذا المعنى الذي تريده لا يمكن أن تدل عليه إلا بالتصرف في هذه الجملة.

كيف تتصرف؟ يعني مثلًا أنت أردت أن تجعل هذا الفعل خاصًّا بهذا المخاطَب، لا يمكن أن يشاركه فيه أحد. بدل أن تقول: إن هذا الفعل لا يشارك هذه الذاتَ فيه أحد، فهنا، شُف اللغة العربية من جمالها، ليس بالضرورة أن تقول: إن العبادة خاصة بالله؛ لا، فقط تصرف في الجملة: «نعبدك»، قدّم الكاف. وإن قدمت الكاف لا بد أن تغيرها إلى «إياك»؛ لأن الكاف ضمير متصل، والضمير المتصل لا يُبتدأ به الكلام، لا تقول: «كَ نعبد»، فتقول: «إياك»، و«إياك» بمعنى الكاف.

◆ تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر:

لماذا قدمت «إياك» الذي هو مفعول، حقه التأخير؟ قدمته عن الأصل لمعنى؛ هذا أدب البلاغة. هنا البلاغة تقول: لا ينبغي لك أن تقدم وأن تخالف هذا الترتيب إلا لسبب، لمعنى مهم، لشيء مهم جدًّا أنت تريده أيها المتكلم. ما هو المعنى هنا؟ المعنى هنا **الحصر والقصر والتخصيص**؛ بمعنى تريد أن تقول: لا نعبد غيرك، لا نعبد إلا أنت فقط؛ لا نعبد إنسانًا، ولا بشرًا، ولا حجرًا، ولا لاتًا، ولا عُزّى، ولا مناة، ولا الهوى، ولا أحدًا؛ فقط عبادتنا خاصة بك.

هذا المعنى يا جماعة، هل يستفاد من قولك: «نعبدك»؟ لا يستفاد. قولك: «نعبدك» يدل على أنك تعبد الله عز وجل، لكن لا يدل على أنك لا تعبد غيره. نعم، أخبرتنا بأنك تعبد الله، لكن ما الذي يدلنا على أنك لا تعبد الله وتعبد غيره؟ قولك: «نعبدك» لا يدل على اختصاص العبادة بالله، وإنما يدل على إخبارك بأنك تعبد الله، ولا ينفي أنك تعبد غير الله. لكن قولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، دون أن تتكلم كلامًا كثيرًا، إذا كنت تفهم كلام العرب طبعًا...

الذي لا يفهم أساليب العرب، قلتَ له: «نعبدك»، أو «نعبد إياك»، أو «إياك نعبد»، عنده سواء، لا تتغير الأمور عنده. لكن الذي يفهم أساليب اللغة، ولذلك لا بد أن يكون لك حظٌّ من هذه اللغة الشريفة، إذا سمع: «أكرمك»، أنت الآن أخبرتنا بأنك تكرم هذا المخاطَب، لكن لم نستفد من هذا إلا أنك تكرمه، ولا يدل ذلك على أنك لا تكرم غيره. لكن لو قلت: «إياك أُكرم»، فهنا دون أن تتكلم فهمنا أنك حصرت إكرامك عليه، ولا يتجاوزه إلى غيره، لا تكرم أحدًا غيره.

كذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ انظر إلى بلاغة القرآن، وإلى أن القرآن يعلمك التوحيد، ويعلمك كل شيء في حياتك. قال لك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، هذا غير «نعبدك». هذا يسمى في مصطلحات العلماء: **تقديم ما حقه التأخير**؛ المفعول حقه التأخير، قدمناه، ماذا يفيد؟ تقديم ما حقه التأخير من أهم فوائده الدلالة على الحصر والقصر والاختصاص.

> **تنبيه**: إذن أنت الآن خاطبت الله، انتبه لنفسك أيها المسلم، أنت الآن كأنك تعِد الله عز وجل وتقول: يا الله، أنا لا أعبد غيرك. أنت لو تعاملت مع الإنسان، وقلت له: «إياك أُكرم»، وفهم منك أنك وعدته بأنك لا تكرم غيره، ثم خالفت ذلك وأكرمت غيره، فالأمر بسيط، أنت تتعامل مع بشر؛ يقول لك: أنت قلت لي بأسلوبك: لا أكرم غيرك، لكن رأيتك أكرمت زيدًا وعمرًا وخالدًا؛ فتقول: ما عليك، أنا حر. لكن هل تقول لله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، لا نعبد غيرك، ثم تخالف؟ أنت تتعامل مع مَن؟ تصور أنك تخاطب الله، فكأنك

تعد الله عز وجل بأن لا تعبد غيره، وتذهب وتعبد غيره من المعبودات الكثيرة التي في هذه الدنيا؛ فهنا الأمر في غاية الخطورة.

◆ تفسير المؤلف: «نخصك بالعبادة من توحيد وغيره»:

إذن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي لا نعبد إلا إياك، ولا نعبد غيرك، لا نصرف شيئًا من أنواع العبادة الكثيرة لغيره. والمؤلف قال ماذا؟ قال رحمه الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي «نخصك بالعبادة». فسّر لك «إياك» المؤلف، فسر لك الحصر: «نخصك» أي نجعل العبادة خاصة بك، لا نصرفها ولا نتجاوز بها إلى غيرك. هذا معنى تفسيره ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: «نخصك بالعبادة»، ولم يقل: «نعبدك».

إذا فسرت ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بـ«نعبدك» فأنت لم تفسر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أنت أتيت بجزءٍ من التفسير. لا بد أن تقول: إما «لا نعبد إلا إياك»، وإما «نخصك بالعبادة»؛ أما أن تقول: «نعبدك» وحدها فلا تكفي.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني نخصك بالعبادة، «من توحيدٍ وغيره»: العبادة توحيد وغير توحيد، إذن كل العبادات؛ نخصك بالتوحيد وبغيره من العبادات العملية الأخرى.

◆ ملاحظة الشيخ على تفسير ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: المؤلف قال: «ونطلب المعونة». تفسير المؤلف هنا ما أعجبني، هذا تفسير حتى أنتم لا توافقونه عليه؛ كلامه هذا لا يدل على القصر. القرآن يقصر الاستعانة على الله، ولذلك قدّم ما حقه التأخير، قدّم المفعول به، بمعنى: لا نستعين إلا بك، لا نستعين بغيرك.

فتأتي، كما قال المفسر الجلال المحلي رحمه الله، فتقول: «ونطلب منك المعونة»؛ نعم، نطلب من الله المعونة، لكن هل كلامك هذا أيها المفسر يدل على أنك لا تطلب المعونة من غير الله؟ لا يدل. ولذلك كان على المؤلف رحمه الله أن يقول: «ونخصك بطلب المعونة»؛ لو قال ذلك لفسّر ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. لكن تفسيره هنا فيه قصور؛ لأنه قال: «ونطلب منك المعونة». لو كان الأمر كذلك كان ينبغي أن يقول أيضًا هناك: «نعبدك يا الله»؛ فقال هناك: «نخصك بالعبادة»، فلماذا ما قال هنا: «نخصك بطلب المعونة»؟

تنبيه على قصور في عبارة المؤلف: الحقيقة كان ينبغي أن يقول هذا؛ لأن ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليس معناها: نطلب منك المعونة على العبادة وغيرها، وإنما معناها: نخصك بطلب المعونة، أو: لا نستعين إلا بك فقط.

فهذه المسألة، وهذه الملاحظة، ينبغي أن ننتبه لها: تفسير المؤلف رحمه الله هنا فيه قصور؛ كان ينبغي أن يقول: «ونخصك بطلب المعونة»، أو يقول: «لا نستعين إلا بك يا الله».

◆ «على العبادة وغيرها»:

قال: «ونطلب المعونة **على العبادة وغيرها**»، على شؤوننا كلها؛ ليس فقط على العبادة: نطلب المعونة على الصلاة، وعلى الصيام، وعلى الزكاة، وعلى الحج، وعلى بر الوالدين، لا، على كل شيء، حتى الأمور الدنيوية؛ نطلب منك المعونة في التجارة، المعونة مثلًا في معاملات الناس، المعونة في كل عمل خيرٍ وليس شرًّا. ولذا قال: «على العبادة وغيرها».

◆ معنى الإعانة، وما يجوز طلبه من غير الله:

وطلب المعونة: طلب الإعانة، أي طلب **الإقدار على فعل الشيء**. أعنتُ فلانًا: إذا أقدرته على أن يفعل؛ أقول مثلًا: أعنته، أي جعلته يستطيع أن يفعل هذا الفعل؛ لأنه وحده لا يستطيع أن يفعله. وهذه الإعانة لا نطلبها إلا منك يا الله.

هناك إعانة يجوز طلبها من غير الله عز وجل، وهي فيما يقدر عليه الإنسان: أن تطلب من فلانٍ من الناس أن يعينك على رفع متاعك إلى سيارتك أو على دابتك، أو يعينك لتركب دابتك؛ فهذا أمرٌ يستطيعه الإنسان، هذه مسائل الأمر فيها واسع، يمكن أن تطلبها من الغير. أما الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله فلا يُطلب العون فيها إلا منه سبحانه وتعالى.

رابعًا: قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

قال الجلال المحلي رحمه الله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أرشِدنا إليه.

ثم قال رحمه الله بعد هذا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ إذا كنا يا الله نعبدك، ونخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، فـ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. الآن بعد هذه المقدمة الطويلة جئتَ تطلب، جئت أيها المؤمن، أيها المسلم، تطلب. فما الذي طلبته؟ طلبت الهداية إلى الصراط المستقيم.

◆ **نوعا الهداية:**

والهداية، كما يعلم جميعكم، نوعان:

- **هداية بيانٍ ودلالةٍ وإرشاد**: وهذه تكون لله عز وجل ولغير الله؛ غير الله عز وجل أيضًا يهدي: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾، الله عز وجل وصف نبيه بذلك، أي أنه يبين للناس الطريق السليم. وأنت أيها المسلم، أيها الداعية، أيها المصلح، أيها المعلم، تهدي طلابك وترشدهم إلى الخير.
- **هداية التوفيق**: وهذه خاصة بالله عز وجل؛ التوفيق: الإقدار على فعل الخير، وفّقك الله عز وجل؛ هذا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾، أي الهداية التي هي هداية التوفيق.

﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ أي **أرشدنا إليه**، أرشدنا أي دُلّنا عليه. ولك أن تجعل طلب الهداية هنا يشمل الهدايتين: أرشدنا إليه، ووفقنا لسلوكه.

خامسًا: قوله «ويُبدَل منه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** ويُبدَل منه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية.

◆ **البدل في باب التوابع:**

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «**ويُبدل منه**». البدل يا جماعة هذا باب نحوي، ويُذكر في بابٍ يسمى **باب التوابع**، وهي أشياء تتبع ما قبلها في الإعراب. التوابع أربعة أو خمسة: إجمالًا أربعة: النعت، والتوكيد، والعطف، والبدل؛ والعطف نوعان: عطف بيان، وعطف نسق؛ وبهذا تكون التوابع خمسة.

الكلام هنا طويل يا جماعة، لا نريد أن نتكلم في هذه المسائل؛ لأننا في التفسير. صحيح لا بد من بيان بعضها حتى نفهم الآيات، لكن أحيانًا نضطر إلى ذكر بعض المسائل ونسترسل فيها حتى تتضح.

البدل أن يكون الشيء تابعًا لما قبله، وهنا في هذا الأسلوب شيئان: شيءٌ أول نسميه **المبدل منه**، والشيء الثاني نسميه **البدل**. وهذان الشيئان هناك قسمٌ منهما يسمى **بدل الكل من الكل**؛ لأن الأول والثاني وإن اختلفت ألفاظهما فمعناهما واحد: «جاء أخوك زيد»، «أخوك» و«زيد» ذاتٌ واحدة؛ لكن «أخوك» أنت تعرف أنه أخوك، ولكن لا تعرف أنه زيد، فأبدلنا للإيضاح.

- من فوائد البدل **الإيضاح**: إيضاح الشيء المبهم.

- ومن فوائده **التأكيد**: تقوية الكلام وتأكيده.

◆ البدل هو التابع المقصود بالحكم:

ويقول النحويون: إن البدل هو **التابع المقصود بالحكم بلا واسطة**. والحكم هو الشيء المسند إلى ما قبله: الآن أنت عندك مثلًا: «جاء أخوك زيد»، «جاء» هو الحكم، «جاء» المسند إلى «أخوك» الفاعل. كتب فلان، قرأ فلان، سافر فلان؛ هذه الأفعال نسميها أحكامًا. الآن أنت عندك «أخوك» هو الفاعل الذي أسندنا إليه هذا الحكم، وبعده «زيد»؛ المقصود بالحكم الذي هو «جاء» هو زيد. هذا معنى قول النحويين: هو التابع المقصود بالحكم الذي قبل المبدل منه.

إذن المبدل منه ذُكر لغرض، ذكر لغاية: توطئةً، نتّكئ عليه لذكر البدل؛ والبدل هو الأهم؛ لأنه هو المقصود بالحكم.

◆ سرّ البدل في الآية: التنصيص على استقامة صراط المنعم عليهم:

إذن ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ﴾، على هذا التعريف للبدل معنى ذلك أن الأصل: «اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم». لماذا إذن ذكر ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، مع أنه بالإمكان أن يُستغنى عنه ويقال: «اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم»؟

ذُكر، يقول، لغرضٍ بلاغي ونكتةٍ ولطيفة، وهي بيان أن صراط الذين أنعم الله عليهم... شُف، هذا الكلام وحده يدل على أنه مستقيم، لكن لم يُكتفَ بذلك، بل نصّ القرآن. إذن فائدة البدل **التنصيص**، والتنصيص معناه رفع الاحتمال؛ لما تأتي إلى مسألة تحتمل كذا وتحتمل كذا تقول: هذا نصٌّ في كذا، أي زال الاحتمال، لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا.

إذن هنا ذكرُ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الغرض منه التنصيص على أن صراط الذين أنعم الله عليهم هو المستقيم؛ هذا الصراط مستقيم، ليس هناك احتمالٌ آخر، ليس هناك احتمالٌ لاعوجاج أو شائبة عدم استقامة. إذن هذا هو السر في المجيء بالبدل هنا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

◆ من هم المنعم عليهم؟

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ قلنا: بدل، و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أيضًا. وذكرنا مسألة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وما سمعتم الكلام إذ انقطع الصوت.

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يا جماعة: اختلف المفسرون في تفسير المنعم عليهم؛ منهم من فسّر ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هنا بآية النساء: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾، وهذا يُخرج بقية المؤمنين أمثالنا نحن، التعبانين اللي فينا معاصٍ وفينا كذا، ما ندخل في هذه الآية. والمؤلف سلك طريقًا آخر جعلنا ندخل في هذه الآية؛ ولذلك قال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ **بالهداية**، ولم يقل: أنعمت عليهم بالنبوة، وبالشهادة، وبالصديقية، وبالصلاح.

لو قال هذا فنحن، أنا وأنت وبعض الناس، يرحمنا الله، ما دخلنا هنا. المؤلف قال: ندخل هنا؛ ولذلك الإنعام هنا إنعامٌ بالهداية، وهذا يشملنا أيضًا، بالإضافة إلى الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، نحن أيضًا ندخل في هذا. ولذلك المؤلف ماذا قال؟ قال: «أنعمت عليهم بالهداية»، و«بالهداية» هذا عامٌّ يشمل جميع المؤمنين أهل التوحيد.

سادسًا: قوله «ويُبدَل من ﴿الَّذِينَ﴾ بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** ويُبدَل من ﴿الَّذِينَ﴾ بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، ﴿وَلَا﴾ وغيرِ ﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى.

◆ البدل الثاني:

ثم قال: بدلٌ آخر: «**ويُبدل من الذين بصلته**». «الذين» اسمٌ موصول يا جماعة، ولا بد له من صلة، وصلته تكون جملة: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ هذه الجملة هي صلة الموصول. «الذين» مع صلته هذا مبدلٌ منه، و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هذا بدلٌ أيضًا آخر من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. ﴿صِرَاطَ﴾ بدل من «الصراط» الأول، و﴿غَيْرِ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فكأنه قال: «صراطَ غيرِ المغضوب عليهم».

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ هذا بدل من «الذين» الذي هو مضاف إليه؛ «صراط» مضاف، و«الذين» مضاف إليه، و«غير» بدل من «الذين»، كأنه قال: «صراط غير المغضوب عليهم».

◆ البدل على نية تكرار العامل:

أيضًا لذا كان... البدل هو المقصود بالحكم الذي قبل المبدل منه؛ ولذلك النحويون يقولون: **البدل على نية تكرار العامل**؛ فكأنك قلت: «اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين...»، كأنه على نية تكرار العامل: «اهدنا، اهدنا».

ولذلك يقولون: إن البدل هنا أبلغ من غيره، مع أن عدمه يؤدي المعنى؛ لكن القرآن معجز، المعنى الذي أراده الله عز وجل لا يتم إلا بهذا الأسلوب، بهذا البدل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

◆ معنى «لا» في ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾:

من هم المغضوب عليهم؟ قال: «**وهم اليهود**». و﴿وَلَا﴾ فسّرها بـ«غير»؛ طبعًا اختلفوا فيها: منهم من قال: زائدة، ومنهم من قال: لا، هي بمعنى «غير». والمؤلف سلك هذا المسلك، وذهب إلى قول المفسرين الذين قالوا: «لا» هنا بمعنى «غير»، و«غير» اسم؛ فكأنه قال: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين»، **والضالون هم النصارى**.

◆ لماذا خُصّ اليهود بالغضب والنصارى بالضلال؟

هل معنى ذلك أن اليهود ليسوا ضالين، وأن النصارى ليسوا مغضوبًا عليهم؟ الجواب: لا؛ اليهود والنصارى كلاهما مغضوب عليهم، وكلاهما ضال. ولكن لماذا خُصّص اليهود بأنهم مغضوب عليهم؟ لأن الله عز وجل قال: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، بمعنى هذه من أخص صفاتهم، ولذلك اخترت هنا؛ وإلا فهم ضالون أيضًا، هم ضالون ومغضوب عليهم، ولكن ذُكروا بما يختص بهم، وهو أنهم مغضوب عليهم، غضب الله عليهم.

والنصارى مغضوب عليهم وضالون أيضًا، لماذا خُصّصوا بالضلال هنا؟ أيضًا لأن هذه أخص صفتهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾؛ أيضًا القرآن ذكرهم بأخص صفاتهم: الضلال.

هذا هو السر في وصف اليهود بالمغضوب عليهم فقط، وفي وصف النصارى بالضلال فقط، مع أنه يشملهم: هؤلاء مغضوب عليهم وضالون، وهؤلاء كذلك؛ لأن هذه أخص صفات هؤلاء، وهذه أخص صفات هؤلاء. ولذا قال لك: «وهم اليهود»، «وغير الضالين وهم النصارى».

◆ أقوال المفسرين في المغضوب عليهم والضالين:

هذا تفسير أكثر المفسرين. منهم من فسّر المغضوب عليهم بأهل البدع، وفسّر الضالين بالمنافقين؛ ومنهم من فسّر المغضوب عليهم بالكفار، وفسر الضالين بالمنافقين. لكن جمهور أهل العلم، ومنهم الصحابة، فسّروا المغضوب عليهم بأنهم اليهود، وأن الضالين هم النصارى.

سابعًا: قوله «ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى»:

قال الجلال المحلي رحمه الله: ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى.

◆ معنى «النكتة»:

ثم قال: «**ونكتة البدل**»؛ هذه نكتة بلاغية. عندما تأتي إلى كلام العلماء والمفسرين يذكرون شيئًا: «ونكتة»، هذه مسألة بلاغية، بمعنى **السر والفائدة واللطيفة** في هذا الأسلوب؛ ما فائدة هذا الأسلوب؟

قال: «ونكتة البدل»؛ لماذا جاء بـ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾؟ لو وقفت الآية عند ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ لخرج اليهود والنصارى؛ لأنهم ليسوا منعمًا عليهم، فلماذا نصّ على ذلك؟ لماذا ذُكروا؟

قال: «ونكتة البدل»، أي وفائدة البدل، وسر البدل، واللطيفة في هذا البدل: «**إفادة أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى**».

تنبيه على النسخ: عندكم في بعض النسخ «أفادت»، لكن الصواب: «إفادة».

تعقيب الشيخ: المهم هذه مسألة تحتاج إلى كلامٍ آخر؛ لأن هذا أيضًا فيه نظر، بأن النكتة هي فقط أنهم ليسوا يهودًا ولا نصارى. وبعض المفسرين حقيقةً ذكر كلامًا آخر، وقال: إن مثل هذا ليس فيه كبير فائدة؛ لأن كونهم ليسوا يهودًا ولا نصارى معلوم، فالنكتة أكبر من ذلك وأشمل من ذلك؛ ولكن إن شاء الله تبحثون عنها في كتب التفسير الأخرى. المهم نحن مع تفسير الجلال المحلي، نحن نتقيد بكلام الجلال المحلي، ولا نتجاوزه إلا عند الضرورة.

خاتمة المجلس:

منهج الشيخ في الدرس: الحقيقة أنا أرى أن طريقتنا هذه ربما تؤخرنا كثيرًا. صحيح أننا أحيانًا نضطر إلى أن نذكر بعض المسائل؛ لأنها لا بد منها لفهم بعض الآيات، ولكن أيضًا نحاول أن نسرع فيما بعد إن شاء الله، والإخوة يحاولون أن يركزوا معنا؛ لأننا لو جلسنا نذكر فوائد العلماء وكلام أهل العلم، وكذا، شيءٌ جميل وحلو وطيب، لكنه يأخذ منا وقتًا طويلًا، واليوم أيضًا أخذنا وقتًا طويلًا، الآن ساعةٌ ونصف تقريبًا.

والدرس القادم بإذن الله تبارك وتعالى نبدأ بسورة البقرة، نمشي على هذا الترتيب إن شاء الله. وسورة البقرة هذه بداية تفسير الإمام السيوطي رحمه الله؛ كما قلنا: الإمام المحلي فسّر النصف من سورة الكهف إلى سورة الناس، وفسّر كذلك سورة الفاتحة، والإمام السيوطي رحمه الله تعالى بدأ تفسيره بالنصف الأول.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.